

الأغراض البلاغية للتونين وأثرها في تفسير القرآن الكريم

حاتم عبد الرحيم جلال التميمي*

ملخص

يشتمل هذا البحث على تعريف التّونين، وأنواعه، وأغراضه البلاغية الواردة في كتب التّفسير، ومناقشة ما ذكره المفسرون من تلك الأغراض تأييداً أو نقداً، مع عرض تاريخي لتوظيف المفسرين لأغراض التّونين في تفسير القرآن الكريم. ويهدف البحث إلى بيان آثار الأغراض البلاغية للتونين في تفسير أي الذكر الحكيم. وقامت منهجية البحث أصالةً على المنهجين: الاستقرائي والوصفي. ومن أهم نتائج البحث: أن للتونين ستة عشر غرضاً بلاغياً اشتملت عليها كتب التّفسير، وأن تلك الأغراض أثراً جوهرياً في تفسير القرآن الكريم.
الكلمات الدالة: لغة، عربية، بلاغة، تونين، تنكير.

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنزل القرآن الكريم وأحكمه، والصلاة والسلام على نبينا الكريم القائل: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»⁽¹⁾، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أما بعد.... فَإِنَّ مِنْ أَجْلِ الْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الاشتغال بِكِتَابِهِ الْكَرِيمِ: تلاوةً، وتفسيراً، وتدبراً. وَمِنْ أَمْرِ مَا يَعِينُ عَلَى مَعْرِفَةِ التَّفْسِيرِ وتدبر المعاني أن يعرف القارئ لكتاب الله تعالى الأدوات اللازمة لتفسيره، ومنها علم البلاغة؛ فهو أصل أصيل لمعرفة معاني القرآن الكريم وتفسيره.

ومما اشتملت عليه موضوعات البلاغة معرفة دلالات التّونين، التي قد تكون للتّعظيم، أو التّحقير، أو التّكثير، أو التّقليل، إلى غير ذلك من المعاني التي تختلف باختلافها معاني أي الذكر الحكيم. فكان حرياً أن يحاط بهذا الجانب خُبراً، وأن تُسلط الأضواء عليه، وأن يُفرد بدراسة مستقلة تكشف عن أسرارِهِ، وتستخرج مكنوناته، فاستعنتُ اللهُ تَعَالَى فِي عَمَلِ بَحْثٍ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ، رَاجِئاً مِنْهُ سَبْحَانَهُ الْعَوْنُ وَالتَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ.

أسباب اختيار الموضوع:

1. الرّغبة في عمَلِ دِرَاسَاتٍ مُحَقَّقَةٍ مُدَقَّقَةٍ تَحْدُمُ عِلْمَ التَّفْسِيرِ.

2. الرّغبة في ضَبْطِ مَعَانِي أَدَوَاتِ التَّفْسِيرِ عَامَّةً، وَالتَّوْنِينَ خَاصَّةً.

3. عدمُ وجودِ دراسةٍ مستقلةٍ في الموضوع.

أهداف الدراسة:

1. مُحَاوَلَةُ ضَبْطِ الْأَغْرَاضِ الْبَلَاغِيَّةِ لِلتَّوْنِينَ، وَالْوُقُوفِ عَلَيْهَا، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهَا.

2. مَعْرِفَةُ النِّقَاسِيرِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَغْرَاضِ الْبَلَاغِيَّةِ لِلتَّوْنِينَ.

3. مُحَاوَلَةُ الْوُقُوفِ عَلَى آثَارِ الْأَغْرَاضِ الْبَلَاغِيَّةِ لِلتَّوْنِينَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

4. مُنَاقَشَةُ أَقْوَالِ الْمَفْسِّرِينَ فِي الْأَغْرَاضِ الْبَلَاغِيَّةِ لِلتَّوْنِينَ، وَبَيَانُ الرَّاجِحِ مِنْهَا.

أهمية الدراسة:

1. أَنَّهَا الْأُولَى بِحَسَبِ عِلْمِ الْبَاحِثِ- الَّتِي تَتَأَوَّلَتْ هَذَا الْمَوْضُوعَ.

2. تَسْتَمِدُّ أَهْمِيَّتَهَا مِنْ أَهْمِيَّةِ مَوْضُوعِهَا، وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ الْعُلُومِ.

3. أَنَّ الْأَغْرَاضَ الْبَلَاغِيَّةَ لِلتَّوْنِينَ يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا آثَارٌ فِي تَفْسِيرِ كَثِيرٍ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

حدود الدراسة:

* قسم التفسير وعلوم القرآن، جامعة القدس، فلسطين. تاريخ استلام

البحث 2015/06/09، وتاريخ قبوله 2015/08/16.

المُبْحَثُ الثالث عشر: الشُّيُوع
المُبْحَثُ الرابع عشر: الإِفْرَادُ
المُبْحَثُ الخامس عشر: الوُحْدَةُ
المُبْحَثُ السادس عشر: المُرَاوَجَةُ
الخاتمة: وفيها أهمُّ النَّتَائِجِ والتوصيات.
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

هذه الدراسة محدودة بدراسة الأغراض البلاغية للتونين،
وأثرها في تفسير القرآن الكريم.
الدراسات السابقة:
لم يقف الباحث على دراسة أصلت موضوع الأغراض
البلاغية للتونين وأثرها في التفسير بحسب المنهج العلمي.
منهجية البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي؛ حيث قام باستقراء المواضيع
التي تحدث فيها المفسرون عن الأغراض البلاغية للتونين في
تفسير القرآن الكريم، من كتب التفسير المتداولة المطبوعة،
واستخراج طائفة من أبرز المواضيع التي ذكر المفسرون فيها
تلك الأغراض. واتبع الباحث أيضاً المنهج الوصفي؛ وذلك
بذكر ما يتعلق بالمواضع التي تحدثت فيها المفسرون عن
الأغراض البلاغية للتونين تأييداً أو نقداً.
خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة، وذلك على
النحو الآتي:

المقدمة: وفيها استعراض أدبيات البحث.

الفصل الأول: مدخلٌ وتعريفات، وفيه خمسة مباحث:

المُبْحَثُ الأول: تعريفُ التَّوْنِينِ.

المُبْحَثُ الثاني: أنواعُ التَّوْنِينِ عندَ النُّحَاةِ.

المُبْحَثُ الثالث: التطورُ التاريخيُّ لتسميةِ التَّوْنِينِ، وأنواعِهِ،
وأغراضِهِ البلاغِيَّةِ.

المُبْحَثُ الرابع: احتياجُ التَّوْنِينِ إلى قرينةٍ للدلالةِ على
أغراضِهِ أو عدمِ احتياجِهِ.

المُبْحَثُ الخامس: احتمالُ التَّوْنِينِ في الموضعِ الواحدِ لأكثر
من عَرَضٍ بلاغيٍّ.

الفصل الثاني: الأغراضُ البلاغِيَّةُ للتَّوْنِينِ كما ذكرها
المفسرون، وفيه ستة عشر مبحثاً:

المُبْحَثُ الأول: التَّعْظِيمُ

المُبْحَثُ الثاني: التَّغْخِيمُ

المُبْحَثُ الثالث: التَّكْثِيرُ

المُبْحَثُ الرابع: التَّحْفِيرُ

المُبْحَثُ الخامس: التَّقْذِيرُ

المُبْحَثُ السادس: التَّبْعِيضُ

المُبْحَثُ السابع: التَّوْبِيعُ (التَّوْبِيعِيَّةُ)

المُبْحَثُ الثامن: الإِبْهَامُ

المُبْحَثُ التاسع: التَّهْوِيلُ

المُبْحَثُ العاشر: المَبَالِغَةُ

المُبْحَثُ الحادي عشر: التَّنْكِيرُ

المُبْحَثُ الثاني عشر: التَّعْمِيمُ

الفصل الأول: مدخلٌ وتعريفاتٌ وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريفُ التَّوْنِينِ

التَّوْنِينُ لغةً: مصدرٌ للفعل «تَوَّنَ»، بمعنى أدخلَ نوناً. ثُمَّ
غُلِبَ حَتَّى صَارَ اسماً لَنونٍ تَلْحَقُ آخرَ الأسماءِ⁽²⁾.

وعرّف النحاةُ التَّوْنِينَ اصطلاحاً بتعريفاتٍ متقاربةٍ، يجمعها
هذا التعريف: نونٌ ساكنةٌ زائدةٌ، لغير التوكيد، تَلْحَقُ أوْخَرَ
الأسماءِ لفظاً ووصلاً، وتنفقُها خطأً ووقفاً⁽³⁾.

فقولهم: «نون» هذا جنس في التعريف.

و«ساكنة» لإخراج النون المتحركة التي تكون في التنثية
والجمع⁽⁴⁾.

و«زائدة» لإخراج النون الأصلية التي هي من بنية الكلمة؛
نحو: «حسن»؛ لأنَّها أصلية⁽⁵⁾.

و«لغير التوكيد» خرج به نون التوكيد الخفيفة في نحو:
﴿لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: 15]؛ لأنها ليست تنونياً وإن
أشبهته في إبدالها ألفاً في الوقف؛ إذ من المجمع عليه أن
التَّوْنِينِ لا يتصل بالأفعال. واتفق أهل الرسم العثماني على أن
نون التوكيد الخفيفة ترسم ألفاً؛ للفرق بينها وبين نون التوكيد
الثقيلة⁽⁶⁾.

و«تَلْحَقُ أوْخَرَ الأسماءِ» خرج به الفعل والحرف؛ إذ
التَّوْنِينِ لا يلحقهما أبداً؛ لأنهما لا يبنون بحال⁽⁷⁾.

و«لفظاً» لأن التَّوْنِينِ لا صورة له في الكتابة.

و«وصلاً» لأن التَّوْنِينِ لا يُلفظ به حالة الوقف؛ بل يحذف
إن كان تنوين رفع أو جرٍّ، ويبدل ألفاً إن كان تنوين نصب.

و«وتنفقُها خطأً ووقفاً» مزيدٌ إيضاح لما قبله.

المبحث الثاني: أنواعُ التَّوْنِينِ عندَ النُّحَاةِ

ذَكَرَ النُّحَاةُ أنواعاً للتَّوْنِينِ، والمتفق عليه منها أربعةُ
أنواعٍ⁽⁸⁾، وهي:

1. تنوين التمكين، وهو الذي يلحق الأسماء المعربة؛

كـ«زَيْدٌ» و«رَجُلٌ». وفائدته الدلالة على خفة الاسم وتمكنه في

باب الاسمية؛ لكونه لم يشبه الحرف فيبنى، ولا الفعل فيمنع من

الصرف. وهذا النوع قد وقع كثيراً في القرآن الكريم، وهو الذي

يدور عليه هذا البحث.

ذكرت آفأ، وأيضاً متى ذكر البلاغيون أغراضاً للتتوين، وصولاً إلى الرصد التاريخي لتوظيف المفسرين الأغراض النحوية والبلاغية للتتوين في تفسير القرآن الكريم.

والظاهر أن مصطلح التتوين لم يكن دارجاً في القرن الهجري الأول؛ ففي قصة نقط المصحف أن أبا الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) قال للكاتب الذي استعان به: «إذا رأيتي قد فتحت فمي بالحرف فانقط فوقه نقطة، وإذا رأيتي قد ضمنت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعث شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين»⁽¹⁰⁾. والشاهد هو تعبيره بالغنة لا بالتتوين.

ويبدو أن الأمر لم يبعد كثيراً عن ذلك الوقت؛ فإن نصر بن عاصم (ت 89 هـ) وهو تلميذ أبي الأسود قد ورد عنه مصطلح التتوين؛ فعن خالد الحذاء (ت 141 هـ) قال: سألت نصر بن عاصم كيف تقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ صَمَدٌ﴾ [الإخلاص: 1، 2]؛ فلم يُنَوِّن. فأخبرته أن عروة (ت 93 هـ) ينون.... إلى آخر ما جاء في القصة⁽¹¹⁾. وهذا نص في أن مصطلح التتوين كان مستعملاً في أيام نصر بن عاصم، وأما كونه أول من اهتدى إلى مصطلح التتوين فمسألة فيها نظر، ولا يمكن القطع بها.

وفيما يتعلق بتاريخ تقسيم التتوين إلى أنواع فقد ذكر المرادي (ت 749 هـ) أن أقسام التتوين عند سيبويه خمسة، وذكر الأربعة المتقدمة، وأضاف إليها تتوين الترنم⁽¹²⁾.

وتحقيق القول في هذا أن سيبويه لم ينص على هذا التقسيم؛ بل لم ينص على أن للتتوين أقساماً أو أنواعاً؛ وإنما أشار في مواضع متفرقة من (الكتاب) إلى بعض أمور تتعلق بالتتوين⁽¹³⁾.

وأقدم نص لعلماء النحو في تقسيم التتوين إلى أقسام - حسبما عثر عليه الباحث - هو لابن الحاجب (ت 646 هـ)؛ فقد نص في (الكافية) على ذلك، وذكر أنه خمسة أقسام؛ وهي الأربعة المتقدمة بالإضافة إلى تتوين الترنم⁽¹⁴⁾. ثم تتابعت أقوال أهل النحو على هذا التقسيم، مع زيادة أنواع أخرى كما أشير إليه آفأ⁽¹⁵⁾.

وأما تاريخ ذكر أغراض التتوين عند البلاغيين فلم يوجد - حسبما ظهر للباحث - لعلماء البلاغة نص على أن للتتوين أغراضاً بلاغية؛ وإنما نصوا على وجود أغراض بلاغية للتتوين⁽¹⁶⁾. غير أن العلاقة بين التتوين والتتكير علاقة وطيدة أكيدة، ومن هنا يمكن القول إن أغراض التتوين هي نفسها أغراض التتكير، إلا ما سيستثنى.

والتلازم بين «التتكير» و«التتوين» واضح جلي، ومن هنا قرن بعض المفسرين بينهما في الذكر؛ كما في قول الشهاب

2. تتوين التتكير، وهو الذي يلحق بعض المبنيات؛ للدلالة على التتكير. وهو قياسي في باب العلم المختوم بـ«ويه»، نحو: مررت بسبويه وسبويه آخر. وسماعي في باب أسماء الأفعال إذا نُكِرَتْ، نحو «إيه» بكسر الهمزة وكسر الهاء بلا تتوين، فإذا أردت الاستزادة من حديث ما نونته فقلت: «إيه». وهذا النوع من التتوين لم يقع منه شيء في القرآن الكريم.

3. تتوين المقابلة، وهو الذي يلحق جمع المؤنث السالم؛ نحو: «مسلمات». وسمي بتتوين المقابلة لأنهم جعلوه في مقابلة النون من جمع المذكر السالم نحو: «مسلمين». وهذا النوع من التتوين وإن وقع كثيراً في القرآن الكريم إلا أن المفسرين والبلاغيين لم يذكروا له أغراضاً بلاغية، فالظاهر أن هذا النوع هو من تقسيم النحاة وحدهم.

4. تتوين التعويض أو العوض، وهو ما يُؤتى به إما عوضاً عن كلمة هي مضاف إليه في «كل» و«بعض»، نحو: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: 132]، أي: ولكل فريق. وإما عوضاً عن جملة، وهو الذي يلحق الظرف «إذ» عند وقوعه مضافاً إليه، نحو: ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ [الواقعة: 84]، فالتتوين عوض عن جملة، أي: حين إذ بلغت الروح الحلقوم. وإما عوضاً عن حرف يقضي القياس حذفه، وهو الذي يلحق الاسم المنقوص غير المنصرف، نحو: ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: 41]، أصلها: غواشي، فعوض عن الياء المحذوفة بالتتوين. وهذا النوع من التتوين وقع كثيراً في القرآن الكريم، وتكلم عليه المفسرون، ولم يذكروا له غرضاً بلاغياً من الأغراض الآتي ذكرها. ولكن المتأمل يرى بوضوح أن الغرض منه هو الإيجاز؛ فالتتوين قام مقام الكلمة، أو مقام الجملة، وفي ذلك من جمال الإيجاز، وروعة الإعجاز ما لا يخفى.

وقد ذكر بعض النحاة أنواعاً أخرى للتتوين؛ كتتوين الترنم، والتتوين الغالي، وتتوين الضرورة، والتتوين الشاذ، وتتوين الحكاية⁽⁹⁾. وهذه الأنواع لم يقع شيء منها في القرآن الكريم، وبعضها ضعيف وغير مسلم.

المبحث الثالث: التطور التاريخي لتسمية التتوين، وأنواعه، وأغراضه البلاغية

هذا المبحث مخصص لرصد التطور التاريخي لتسمية التتوين؛ بمعنى متى ظهرت هذه التسمية، وكذا أنواعه التي

"فالمعنى أتضجر تضجراً ماً، وإذا لم ينون فهو تضجراً مخصوصاً" (27). ويظهر بجلاء من نصّ النسفيّ والخفاجي أنّ الكلام هنا عن غرض بلاغيّ، وليس عن التّكبير النحويّ.

ثمّ جاء نظام الدين النيسابوريّ (ت 850 هـ) ونصّ في مواضع كثيرة من تفسيره على أغراض مختلفة للتّونين؛ كالشّعظيم، والنقليل، والتّخوير (28)، والتّكبير (29)، والتّنويح (30)، وغيرها.

ثمّ جاء البقاعيّ (ت 885 هـ)؛ فنصّ أيضاً في مواضع كثيرة من تفسيره على الأغراض البلاغية للتّونين (31). والظاهر من خلال الوقوف على ما كتبه البقاعيّ أنه لم يكن ناقلاً عن النيسابوريّ؛ فالفرق بين ما كتباّه بيّن ظاهر.

ثمّ توالى بعد ذلك المفسرون، وضمنوا تفاسيرهم الحديث عن الأغراض البلاغية للتّونين، ومن هؤلاء المفسرين: الشربينيّ (ت 977 هـ) وكان مقلاً من ذلك (32). وأبو السعود العماديّ (ت 982 هـ) وكان من المكثرين من ذلك (33). والشّهاب الخفاجيّ (ت 1069 هـ) وكان من المكثرين جداً (34). وإسماعيل حقي البروسويّ (ت 1127 هـ) وكان مكثراً (35)، والظاهر أنه كان ينقل بكثرة عن أبي السعود. وابن عجيبة (ت 1224 هـ) ولم يكن مكثراً (36). والمظهريّ (ت 1225 هـ) ولم يكن مكثراً (37). والشوكانيّ (ت 1250 هـ) (38). ثمّ جاء الألوسيّ (ت 1270 هـ) وهو أكثر المفسرين إيراداً لذلك على الإطلاق؛ فقد نصّ على الأغراض البلاغية للتّونين في تفسيره في مواضع كثيرة جداً (39).

ومن المفسرين المتأخرين الذين ذكروا الأغراض البلاغية للتّونين: القنوجيّ (ت 1307 هـ) ذكره في مواضع من تفسيره (40)، ومن المعلوم أنّ القنوجيّ اعتمد بشكل كامل على تفسير الشوكانيّ. ومنهم أيضاً: جمال الدين القاسميّ (ت 1332 هـ)، ذكره في مواضع من تفسيره (41). ومنهم: محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393 هـ) وقد أكثر من ذكره (42).

وبعد هذا الاستعراض يمكن القول: إن النصّ على الأغراض البلاغية للتّونين بلفظ «التّكبير» قد تفنّق على لسان الزمخشريّ، ولفظ «التّونين» على لسان البيضاويّ، ثمّ شاع وانتشر على لسان النيسابوريّ والبقاعيّ، وقويّ عودّه واشتدّ على يد أبي السعود العماديّ، وبلغ أشده على يد الشّهاب الخفاجيّ، وبلغ ذروته وأوجّه على يد الشّهاب الألوسيّ.

المبحث الرابع: احتياج التّونين إلى قرينة للدلالة على أغراضه أو عدم احتياجه

من المسائل المهمة المتعلقة بموضوع هذا البحث مسألة القرينة؛ فهل يدلّ التّونين على أغراضه البلاغية بنفسه أم لا بد له من قرينة تسانده في ذلك؟

الخفاجيّ (ت 1069 هـ): «فالتّونين والتّكبير للتّونين» (17). وكذا وضع بعضهم لفظ «التّونين» موضع «التّكبير» الذي قال به غيره؛ كما جاء في تفسير كلمة «لعبرة» من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: 13]، قال الشوكانيّ (ت 1250 هـ): «والتّكبير للشّعظيم؛ أي: عبرة عظيمة» (18). وقال الألوسيّ (ت 1270 هـ): «والتّونين للشّعظيم؛ أي: عبرة عظيمة» (19). فكلامهما واحد، غير أن أحدهما عبّر بالتّكبير والآخر عبّر بالتّونين، وفي هذا دلالة على أن اللفظين - في هذا المقام - يوديان معنى واحداً. بل أكثر من ذلك أن الألوسيّ نفسه قال عن كلمة «لعبرة» في موضع سورة النحل [66]: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: «والتّكبير للتّخيم؛ أي: لعبرة عظيمة» (20)، فعبّر في أحد الموضوعين بالتّونين، وفي الآخر بالتّكبير.

على أن هذا التلازم أغلبيّ وليس تاماً؛ فقد يدلّ التّكبير على أغراضه من غير أن تكون الكلمة منوثة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الفرقان: 18]، قال الزمخشريّ: «وتكبير أولياء» من حيث إنّهم أولياء مخصوصون؛ وهم الجنّ والأصنام (21). ومن ذلك أيضاً ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: 28]، قال الألوسيّ: «منافع عظيمة الخطر، كثيرة العدد، فتكبيرها وإن لم يكن فيها تونين للشّعظيم والتّكثير» (22). وعلى العكس من هذا فإن غرض «المزوجة» إنما يأتي في التّونين دون التّكبير، كما سيأتي في موضعه من البحث.

وأما المفسرون فقد ذكروا في تفاسيرهم أغراضاً للتّونين، فيما يعدّ سبقاً منهم وتنصيماً على أن للتّونين أغراضاً بلاغية، لها أثرها في تفسير القرآن الكريم.

وأما التطور التاريخي لأغراض التّونين عند المفسرين فإنّ أسسه وقواعده جاءت عند الزمخشريّ (ت 538 هـ)؛ في تفسيره (الكشاف)؛ فقد تحدّث في مواضع كثيرة عن الأغراض البلاغية لـ«التّكبير» (23)، وجاء المفسرون من بعده وضمنوا تفاسيرهم الحديث عن ذلك، معبرين عن ذلك بالتّكبير تارة، وبالتّونين تارة أخرى.

ومن خلال ما تبين للباحث بعد التحريّ والتدقيق فإن أقدم نصّ صريح على وجود أغراض بلاغية للتّونين بلفظ «التّونين» قد جاء عند البيضاويّ (ت 685 هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُفٍّ﴾ [الإسراء: 23]، حيث قال: «وتونينه في قراءة نافع وحفص» (24) للتّكبير (25). وتابّع النسفيّ (ت 710 هـ) البيضاويّ فيما ذهب إليه فقال: «والتّونين لإرادة التّكبير، أي: أتضجر تضجراً، وتركه لقصد التعريف؛ أي: أتضجر التضجراً المعلوم» (26). وقال الشّهاب الخفاجيّ (ت 1069 هـ) في حاشيته:

أكثر.

ونصوص المفسرين شاهدة بذلك، وفيها يأتي ذكر طائفةٍ منها، مع ذكر ما يستفاد منها:

1. ما ذكره النيسابوري عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: 275] من أن تتوين «مَوْعِظَةٌ» لِلتَّعْظِيمِ؛ والمعنى: موعظةٌ بليغةٌ. أو لِلتَّقْلِيلِ؛ والمعنى: شيءٌ من الموعاظ⁽⁵⁰⁾.

2. ما ذكره النيسابوري عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ﴾ [التكوير: 14] من أن التَّوِينِ في «نَفْسٍ» يجوز أن يكون لِلتَّقْلِيلِ بحسب اللفظ؛ إذ كان اللفظ مفرداً، على أنه مفيد لِلتَّكْثِيرِ بحسب المعنى؛ حيث إن التعبير بالمفرد المفيد للجنس أبلغ في إفادة التَّكْثِيرِ من التعبير بالجمع. ويجوز أن يكون لِلتَّعْظِيمِ أو للنوع؛ يعني النفس الإنسانية⁽⁵¹⁾. ويؤخذ من هذا المثال جواز أن يكون لِلتَّوِينِ في الموضع الواحد ثلاثة أغراضٍ أو أربعة.

3. ما ذكره البقاعي عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأعراف: 89] من أن تتوين «كذباً» يجوز أن يكون لِلتَّعْظِيمِ، ويجوز أن يكون لِلتَّحْقِيرِ، وأن لكلٍ منهما وجهاً يدعو إليه المقام⁽⁵²⁾. وكلامه هذا يدل على أن التَّوِينِ لا يفيد المعنيين معاً في آنٍ واحدٍ؛ إذ التَّحْقِيرُ ضد التَّعْظِيمِ، والضدان لا يجتمعان معاً.

4. ما ذكره الشوكاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل: 15] من أن تتوين «علماً» إما للنوع؛ أي: طائفةً من العلم. أو لِلتَّعْظِيمِ؛ أي: علماً كثيراً⁽⁵³⁾.

5. ما ذكره الشَّهَابُ الْخَفَاجِيُّ عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: 19]، من أن تتوين «صَيِّبٍ» يحتمل أن يكون لِلتَّوِينِ وَلِلتَّعْظِيمِ، ثم قال: «ولا مانع من الجمع بين معنييه»⁽⁵⁴⁾. ويؤخذ من هذا جواز الجمع بين المعنيين في آنٍ واحدٍ؛ إذا لم يكونا نقيضين.

على أن بعض الأغراض يكون واضحاً جلياً مسلماً، وبعضها قد يكون المعنى عليه ضعيفاً غير مسلم؛ كما قال البيضاوي في تتوين «نصيياً» من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 23] إنه يحتمل التَّعْظِيمِ وَالتَّحْقِيرِ⁽⁵⁵⁾. فكونه لِلتَّعْظِيمِ ظاهرٌ، وأما كونه لِلتَّحْقِيرِ فقد استدركه عليه الشربيني بقوله: «فيه نظر؛ إذ النصيب المراد

والذي خلص إليه الباحث أن جُلَّ الأَغْرَاضِ الْبَلَاغِيَّةِ لا يدلُّ عليها التَّوِينُ بنفسه؛ بل لا بدَّ من قرينةٍ مقالِيَّةٍ أو غيرها تساندُ التَّوِينِ في دلالته على أغراضه، ونصوص المفسرين وغيرهم شاهدةٌ بذلك، ومنها:

1. استدلال الشَّهَابِ الْخَفَاجِيِّ على أن تتوين «فزع» في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ فَرَعٍ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: 89] على قراءة من نونه⁽⁴³⁾، قد يكون لِلتَّعْظِيمِ؛ بقرينة أن كلَّ فَرَعٍ يوم القيامة عظيم⁽⁴⁴⁾.

2. استدلال الألوسي على أن تتوين «نفس» في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 56] لِلتَّكْثِيرِ؛ بقرينة المقام⁽⁴⁵⁾.

3. استدلال الألوسي على أن تتوين «فاكهة» في قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: 11] لِلتَّكْثِيرِ؛ بمعونة المقام⁽⁴⁶⁾.

4. استدلال ابن عاشور على أن تتوين «شريعة» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ [الجاثية: 18] لِلتَّعْظِيمِ؛ بقرينة حرف التراخي الرتبي⁽⁴⁷⁾.

5. استدلال ابن عاشور على أن تتوين «هدى» في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5] لِلتَّعْظِيمِ؛ إذ القصد التتويه بشأن الهدى المذكور؛ بقرينة مقام المدح⁽⁴⁸⁾.

6. نصَّ الميداني (ت 1425هـ) على كون القرائن هي التي تدل على معظم أغراض التَّكْثِيرِ، والذي يتلخص من كلامه أن القرائن لا تشترط إلا عند كون التَّكْثِيرِ دالاً على التَّعْظِيمِ والإطلاق⁽⁴⁹⁾. وهذا أمر طبيعيٌ بدهي؛ إذ إن أصل النكرة العموم وعدم التحديد.

هذا واشترط القرينة للدلالة على أغراض التَّوِينِ أمرٌ لا بدَّ منه؛ لئلا تحتمل نصوص القرآن ما لا تحتمل، كما سيظهر من خلال التمثيل لأغراض التَّوِينِ في الفصل الثاني من البحث؛ حيث إن بعض الأمثلة جاءت ضعيفة؛ نتيجةً لضعف القرينة أو عدم وجودها بالكلية، أو وجود ما ينافيها.

المبحث الخامس: احتمال التتوين في الموضع الواحد لأكثر من غرضٍ بلاغيٍّ

هذه مسألة لا بد من بيانها وتوضيحها؛ إذ كثيراً ما يختلف المفسرون في تحديد نوع التَّوِينِ في الموضع الواحد؛ فيذكر بعضهم له دلالةً معينةً ويذكر آخرون له دلالةً مغايرةً. بل إن المفسر الواحد قد يذكر لِلتَّوِينِ في الموضع الواحد وجهين أو

به الكتاب أو بعضه لا حقاؤه فيه⁽⁵⁶⁾. واستدركه أيضاً أبو السعود بقوله: "وحمله على التَّخْفِير لا يساعده مقامُ المُبَالَغَةِ في تقييح حالهم"⁽⁵⁷⁾.

الفصل الثاني:

الأغراض البلاغية للتونين عند المفسرين

تعددت أغراض التَّونين التي ذكرها المفسرون، فكان من هذه الأغراض ما هو مجمعٌ عليه، وكثر استعماله، ومنها النادر الذي جاء بضع مرَّاتٍ، وربما جاء عند مفسرٍ واحدٍ دون سائر المفسرين.

وقد بلغت عدة الأغراض البلاغية التي ذكرها المفسرون في تفاسيرهم ستة عشر غرضاً، وفيما يأتي استعراضٌ لها عبر المباحث الآتية:

المبحث الأول: التَّعْظِيم

وهو أبرز الأغراض البلاغية الذي ذكرها المفسرون للتَّونين، وأكثرها وروداً.

والتَّعْظِيم يأتي بمعنيين: الأول: عدُّ الشيء عظيمًا مهولًا، والثاني: كون الشيء ذا منزلةٍ رفيعة⁽⁵⁸⁾.

ومن الأمثلة على تونين التَّعْظِيم:

• قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: 201]، فتونين كلمة «حسنة» يمكن أن يكون للتَّعْظِيم؛ أي: حسنة عظيمةً أيَّ حَسَنَةٍ⁽⁵⁹⁾.

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: 13]، فالتقدير: عبرةً عظيمةً لأولي الأبصار⁽⁶⁰⁾. ووجه عظم تلك العبرة أن في القصة المذكورة مواضع كثيرة من حيث هي مثَلاتٌ للأعمال وعواقبها، ومراقبة الله وخشيته، وما يترتب على ذلك وعلى ضده من خيرٍ وشرٍ في الدنيا والآخرة⁽⁶¹⁾.

• قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: 53]، قال الألوسي: "والتَّونين للتَّعْظِيم؛ أي: بسلامٍ عظيمٍ القدر، «عليم» ذي علمٍ كثيرٍ"⁽⁶²⁾.

• مثال: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمئِذٍ آمُونٌ﴾ [النمل: 89]. فالتَّونين في «فرع» في قراءة من نَوَّه⁽⁶³⁾ للتَّعْظِيم؛ أي: من فرعٍ شديدٍ لا يكتفه الواصف آمون⁽⁶⁴⁾.

• قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: 15]، فتونين «مغفرة» للتَّعْظِيم، أي: مغفرة عظيمةً لا يُقَادَرُ قدرها⁽⁶⁵⁾.

وكما أن التَّعْظِيم يكون في أمرٍ إيجابيٍّ فإنه قد يكون في

أمرٍ سلبيٍّ، ومن الأمثلة على ذلك:

• قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لِنِسَاءٍ﴾ [النساء: 160]، فتونين «ظلم» للتَّعْظِيم؛ أي: فبسبب ظلمٍ عظيمٍ حرَّمتنا عليهم طيباتٍ أُحِلَّتْ لهم⁽⁶⁶⁾.

• قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: 66]، فتونين «سفاهة» يحتمل أن يكون للتَّعْظِيم، ومما يؤيد هذا القول مجيء حرف الجرِّ «في» الدالُّ على الظرفية⁽⁶⁷⁾، فيكون المعنى: إنا لنراك في سفاهةٍ عظيمةٍ تامَّةٍ راسخةٍ تحيط بك من كلِّ جانبٍ⁽⁶⁸⁾.

المبحث الثاني: التَّخْفِيم

الفخامة بمعنى الضخامة، ورجلٌ فخَمٌ، أي عظيم القدر، وكلامٌ فخَمٌ، أي جزلٌ⁽⁶⁹⁾.

والظاهر من كلام المفسرين أن التَّعْظِيم والتَّخْفِيم بمعنى واحدٍ، واستعمالاتهم شاهدةٌ بذلك، وستأتي الإشارة إلى ذلك من خلال الأمثلة، ومن الأمثلة على ورود التَّونين للتَّخْفِيم:

• قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]، قال أبو السعود: تونين «رحمة» للتَّخْفِيم، أي: فبرحمةٍ عظيمةٍ لهم كائنةً من الله تعالى⁽⁷⁰⁾. وقال الشوكاني: "تونين «رحمة» للتَّعْظِيم"⁽⁷¹⁾. ومن الواضح من خلال مقابلة الكلامين أن التَّعْظِيم والتَّخْفِيم شيءٌ واحدٌ. بل إن كلام أبي السعود نفسه يشهد بذلك؛ حيث ذكر أن التَّونين للتَّخْفِيم، وقدره بقوله: «رحمةً عظيمةً».

• قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران: 174]، فتونين «نعمة» و«فضل» للتَّخْفِيم؛ أي: فرجعوا بنعمةٍ عظيمةٍ لا يقادر قدرها، وفضلٍ عميمٍ لا يُدْرِكُ كنهه⁽⁷²⁾.

• قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ [التوبة: 86]، فتونين «سورة» للتَّخْفِيم؛ أي: سورةٌ جليلةٌ الشأن⁽⁷³⁾.

• قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: 10]، قال الألوسي: "... وتونين «كتاباً» للتَّعْظِيم والتَّخْفِيم، أي: كتاباً عظيم الشأن، نير البرهان"⁽⁷⁴⁾. وقوله هذا مما يؤيد أن التَّعْظِيم والتَّخْفِيم معناهما واحدٌ.

• قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: 1]، فتونين «قرآناً» -كما قال الألوسي- للتَّخْفِيم؛ أي: قرآناً جليل الشأن⁽⁷⁵⁾.

وكما تقدم في (التَّعْظِيم) أنفأ فإن (التَّخْفِيم) قد يكون في

الأمر الإيجابية كما في الأمثلة السابقة، وقد يكون في الأمور السلبية، ومن الأمثلة عليه:

• قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: 137]، قال أبو السعود: "والتَّوْبِينَ لِلتَّفْخِيمِ؛ أي: هم مستقرون في خلافٍ عظيمٍ بعيد من الحق" (76). ويلحظ هنا بجلاء تفسيره التَّفْخِيمِ بالعظيم.

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [آل عمران: 4]، فالتَّوْبِينَ في «عَذَابٍ» وفي «شَدِيدٌ» لِلتَّفْخِيمِ؛ والمعنى: لهم عَذَابٌ أَيْ عَذَابٍ، شَدِيدٌ لَا يَقَادِرُ قَدْرُهُ (77).

• قوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: 27]، أي: هوانٌ عظيمٌ، فالتَّوْبِينَ هنا لِلتَّفْخِيمِ (78). ويلحظ هنا تفسير التَّعْظِيمِ بِالتَّفْخِيمِ.

المبحث الثالث: التَّكْثِيرُ

والفرق بين التَّعْظِيمِ والتَّكْثِيرِ أن الأول ينظر فيه لارتفاع الشأن وعلو القدر، والثاني ينظر فيه إلى الكميات والمقادير (79).

• قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 10]، فتنوين «رُسُلٍ» لِلتَّفْخِيمِ والتَّكْثِيرِ، والمعنى: ولقد استهزئ برسلٍ أولى شأنٍ خطيرٍ، وذوي عددٍ كبيرٍ (80). ويرى هنا بوضوح كيف أن التنوين حَمَلَ معنيين في آنٍ واحدٍ، لكن كل واحدٍ منهما من زاويةٍ معينة؛ فالرسل من حيث المنزلة هم أصحاب شأنٍ خطيرٍ، ومن حيث العدد هم ذوو عددٍ كبيرٍ.

• قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 42]، فتنوين «أُمَمٍ» لِلتَّفْخِيمِ، والمعنى: ولقد أرسلنا رسلاً إلى أممٍ كثيرةٍ (81).

• قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 130]، فتنوين «نَقَصْنَا» لِلتَّفْخِيمِ، ولذلك لم يُضَفْ إلى «الثمرات»؛ لئلا تفوت الدلالة على الكثرة (82). والمعنى: ونقص كبيرٍ من ثمراتهم.

• قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: 57]، فتنوين «أَكِنَّةً» لِلتَّفْخِيمِ (83)، والمعنى: أكنةٌ كثيرة العدد.

• قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ [الطور: 12]، فتنوين «حَوْضٍ» يحتمل أن يكون لِلتَّفْخِيمِ، والمعنى: في

حوضٍ كاملٍ عظيمٍ (84).

• قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَآكِهَةٌ﴾ [الرحمن: 11]، فالتَّوْبِينَ في «فاكهةً» لِلتَّفْخِيمِ كما يفهم من السياق، أي: فيها ضروبٌ كثيرةٌ مما يتفكه به (85).

المبحث الرابع: التَّخْفِيرُ

تقدم أن التَّوْبِينَ يَأْتِي لِلتَّعْظِيمِ والتَّفْخِيمِ، وكذلك فإنه يَأْتِي لضعفهما؛ وهو التَّخْفِيرُ، ومن الأمثلة على ذلك:

• قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: 48]، فتنوين «شَيْئًا» لِلتَّفْخِيمِ؛ أي: شيئاً يسيراً حقيراً (86).

• قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: 96]، جَوَزَ بعض المفسرين أن يكون التتوين والتتكير في «حياةً» لِلتَّفْخِيمِ، أي: أن اليهود أحْرَصُ النَّاسِ على أحقر حياةٍ، وأقلَّ لَبَثٍ في الدنيا، فكيف بحياةٍ كثيرةٍ ولبثٍ متناولٍ؟ (87).

• قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلُوَكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ الصَّبْرِ﴾ [المائدة: 94]، ذهب عددٌ من المفسرين إلى أن تنوين «بشئٍ» لِلتَّفْخِيمِ المُؤَدِّنُ بأن ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها أقدام الراسخين؛ كالابتلاء بقتل الأفسس وإتلاف الأموال، وفائدته التتبيه على أن من لم يتثبت في مثل هذا كيف يتثبت عند شدائد المحن (88). وذهب ابن عاشور إلى أن تتكبره لِلتَّفْخِيمِ لا لِلتَّفْخِيمِ، ولم يذكر توجيهاً لذلك (89). ولعل كونه لِلتَّفْخِيمِ أولى من كونه لِلتَّفْخِيمِ؛ إذ مقتضى التتوين أن الصَّبْرُ المُبْتَلَى به هو نوعٌ غير ما يعرفه الناس من الصَّبْرِ!! وهو معنى لا يخفى ضعفه. بالإضافة إلى أن كلمة «شيءٍ» تفيد التتفير كما سيأتي تحقيقه، إن شاء الله تعالى.

• قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: 201] أي: إذا مسَّهم أدنى لَمَّةٍ منه، فيكون تنوين «طائِفٌ» لِلتَّفْخِيمِ (90). وفيه فائدةٌ جليَّةٌ؛ وهي أن المتقين المذكورين في الآية إذا تتبها من أدنى لَمَّةٍ من الشيطان فإنهم ينتبهون لما هو أكثر منها من باب أولى.

• قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: 14]، فتنوين «شيءٍ» لِلتَّفْخِيمِ، والمراد أقل ما يجاب به من الكلام (91). وفيه الفائدة السابقة.

المبحث السادس : التَّبْعِيضُ

وقد ظهر للباحث أن هذا الغرض مما انفرد بذكره المفسرون دون البلاغيين؛ إذ لم يتعرضوا له في كتبهم.

وخاصة هذا الغرض أن التَّوْنِينَ يحمل على جزء مما يدل عليه اللفظ المذكور، بقرينة قولية أو غيرها. ومن الأمثلة عليه:

• قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: 22]، قال الزمخشري: "ولأنَّ الْمُتَكْرِرِينَ أعني: «ماء»، و«رزقاً» يكتفانه. وقد قصد بتكريرهما معنى البعضية؛ فكأنه قيل: وأنزلنا من السماء بعض الماء، فأخرجنا به بعض الثمرات، ليكون بعض رزقكم" (102).

• قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: 1]. ذكر الزمخشري وغيره أن تونين «ليلاً» يفيد البعضية؛ أي أن مدة الإسراء بالنبى صلى الله عليه وسلم كانت في بعض الليل، مع أن المسافة من مكة إلى الشام أربعون ليلة (103). وقد أطل الشَّهَابُ الخفاجي في تقرير أن التَّوْنِينَ في الآية لِلتَّبْعِيضِ (104). وقد قيل إن التَّوْنِينَ هنا لإفادة تعظيم الليل المذكور، كما هو المناسب للسياق والسباق؛ أي: ليلاً أي ليل (105). ولا منافاة بينهما؛ إذ لا مانع من حمل التَّوْنِينَ في الموضوع الواحد على أكثر من معنى كما تقدم تحقيقه في هذا البحث.

• قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: 69]. اختلف المفسرون في كون العسل شفاءً لكل داء، أم هو شفاءً لبعض الأمراض، وهذا الاختلاف مبني على نوع التَّوْنِينَ في كلمة «شفاء»؛ فهو إما لِلتَّعْظِيمِ؛ والمعنى: فيه شفاءً أي شفاءً، وإما لِلتَّبْعِيضِ؛ والمعنى: فيه بعض الشفاء، فلا يقتضي أن كلَّ شفاءً به، ولا أن كلَّ أحدٍ يستشفى به (106). والجمع بين المعنيين ممكن؛ بأن يقال: إن العسل شفاءً عظيمٌ لبعض الأمراض والأشخاص.

• قوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، جَوَّزَ أن يكون تونين «قلوب» لِلتَّبْعِيضِ؛ كأنه قيل: أم على بعض القلوب؛ لأن النكرة في سياق الإثبات لا تعم (107). وسيأتي فيها وجه آخر أنها لِلتَّهْوِيلِ.

• قوله تعالى: ﴿كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ﴾ [الصف: 14] على قراءة «أنصاراً» بالتَّوْنِينَ، وجَرَّ اسم الجلالة باللام (108)، فتونين «أنصاراً» هنا لِلتَّبْعِيضِ لا لِلتَّعْظِيمِ، والمعنى: كونوا بعض

• قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَمُودُونَ بِمَا لِي﴾ [النمل: 36]، قال الألويسي: "وتتكبير «مالي» لِلتَّحْقِيرِ" (92).

وقد ظهر للباحث أن كثيراً من المواضع التي ذكر المفسرون أنها لِلتَّحْقِيرِ جاءت بلفظ «شيء»، وهو في أصل وضعه يدل على التَّقْلِيلِ والتَّحْقِيرِ (93)، فليس التَّوْنِينَ وحده هو الذي دل على التَّحْقِيرِ؛ بل يسانده في ذلك أصل الوضع.

المبحث الخامس : التَّقْلِيلُ

والتَّقْلِيلُ شبيهةٌ بِالتَّحْقِيرِ، غير أن التَّحْقِيرِ يكون باعتبار الوصف والكيفية، وبِحَسَبِ الْمُنْزَلَةِ وَالرُّتْبَةِ، وأما التَّقْلِيلُ فيكون باعْتِبَارِ الْعَدَدِ وَالْكَمِيَةِ (94).

ومن الأمثلة عليه:

• قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ﴾ [الأعراف: 184]، فتونين «حِنَّةٍ» لِلتَّقْلِيلِ والتَّحْقِيرِ (95)، أي: ليس بالنبى صلى الله عليه وسلم أدنى مقدارٍ من الجنون، وإذا انتفى عنه القليل انتفى عنه ما فوقه من باب أولى.

• قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي حَنَاتٍ عَذْبٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ﴾ [التوبة: 72]، جُلُّ المفسرين والبلاغيين على أن تونين «رضوان» لِلتَّقْلِيلِ، والمعنى: أن شيئاً من رضوان الله - وإن قلَّ - خيرٌ وأكبر من الجنة ونعيمها، فهذا القليل يكفي، ولا يقال له قليل، وإذا كان القليل منه أكبر فالكثير منه أكبر من باب أولى (96). وذهب بعض المتأخرين إلى أن تونين «رضوان» لِلتَّعْظِيمِ والتَّحْقِيمِ، والمعنى: رضى عظيم، لا يُفَنِّدُ قَدْرَهُ، ولا يكتفه سره، وأن المراد به رؤية الله تعالى (97). وذهب ابن عاشور إلى أن التَّوْنِينَ لِلتَّنْوِيحِ (98). ولعل أعدل هذه الأقوال أوسطها؛ إذ لا يخفى ما في القول الأول والثالث من تفكيك أغراض التَّوْنِينَ؛ فتونين «جنات» يكون لِلتَّعْظِيمِ، وتونين «رضوان» لِلتَّقْلِيلِ أو لِلتَّنْوِيحِ!!

• قوله تعالى: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [يونس: 70]، فتونين «متاع» لِلتَّحْقِيرِ والتَّقْلِيلِ (99). بالإضافة إلى أن كلمة «متاع» نفسها تومئ إلى أنه قليلٌ غير جليل (100).

• قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ مُنْتَلِهِمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: 104]، قيل إن كلمة «يوماً» يراد به اليوم بمعناه اللغوي؛ وهو مطلق الوقت، وتونينه لِلتَّقْلِيلِ والتَّحْقِيرِ، فيكون المراد: إلا زماناً قليلاً، غير أن مقابلته بالعشر في الآية بعدها يُبْعِدُ هذا القول (101).

أنصاره عَزَّ وَجَلَّ⁽¹⁰⁹⁾.

المبحث السابع : التَّنْوِيع (النُّوعِيَّة)

والمقصود بالنُّوعِيَّة: أن تكون الكلمة المُنَوَّنَة المذكورة محمولةً على نوعٍ مغايرٍ للنوع المعروف منها. وهو من أكثر أنواع التَّنْوِين وروداً في كتب التفسير، وفُسِّرَتْ به آياتٌ كثيرةٌ جداً. ومن الأمثلة عليه:

• قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7]، فتتوين «غشاوة» و«عذاب» للنُّوعِيَّة؛ والمعنى: أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس؛ وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام نوعٌ خاصٌ غير ما جربوه⁽¹¹⁰⁾. ويجوز أن يكون التَّنْوِين فيهما للنُّوعِيَّة⁽¹¹¹⁾. وجعل السكاكي التَّنْوِين للتَّهْوِيل، وفسره بالنُّوعِيَّة⁽¹¹²⁾. ولا تنافي بين هذه المعاني كلها؛ بل الجمع بينها يُكسِبُهَا بلاغةً وقوةً في المعنى؛ فالمذكورون على أبصارهم غشاوة هائلة عظيمة تحجب أبصارهم بالكلية، وتحول بينها وبين الإدراك، ولهم من بين الآلام العظام عذاب هائلٌ عظيمٌ لا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ.

• قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179]. إذا كان تتوين «حياة» للنُّوعِيَّة فالمعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص نوعٌ من الحياة يميِّز عن غيره؛ وهو الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل؛ فيكون سبباً لحياة نفسين، أو يَمْنَعُ أن يُقْتَلَ غير القاتل كما كان في الجاهلية، فتحيا به نفوس⁽¹¹³⁾. ويجوز أيضاً أن يكون التَّنْوِين أيضاً للنُّوعِيَّة؛ والمعنى: ولكم في القصاص حياةً عظيمة⁽¹¹⁴⁾. والجمع بين المعنيين سهلٌ سيسر؛ فهي حياةً عظيمة، ومن أعظم ما فيها أنها حياةً من نوعٍ خاصٍ غير ما تعارفه الناس.

• قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِفُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: 25]، فتتوين «ناراً» في الآية يحتمل أن يكون للنُّوعِيَّة؛ بمعنى: أن الله أعدَّ لهم على حسب خطيئاتهم نوعاً من النار غير أنواعها المعروفة⁽¹¹⁵⁾. ويحتمل أن يكون التَّنْوِين للتَّهْوِيل والنُّوعِيَّة أيضاً⁽¹¹⁶⁾. والجمع بين المعاني الثلاثة ممكن؛ بأن تكون النار المذكورة ناراً هائلةً عظيمةً لا يستطيع أن يصفها واصفٌ؛ وما ذلك إلا لأنها نوعٌ خاصٌ غير ما يعرفه الناس من النيران.

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور:

17]، التَّنْوِين في «جَنَاتٍ» و«نَعِيمٍ» يجوز أن يكون للنُّوعِيَّة، أي: في نوعٍ من الجَنَّات ونوعٍ من النعيم مخصوصين بهُم، خُلُقًا لهم خاصة⁽¹¹⁷⁾. ويجوز أيضاً أن يكون التَّنْوِين للنُّوعِيَّة والتَّفْخِيم. ويجوز أن يُحْمَل عليهما معاً كما تقدم مراراً.

المبحث الثامن : الإِبْهَام

إِبْهَام الأمر: أن يَشْتَبَه فلا يُعْرَف وجهه⁽¹¹⁸⁾، وفي مصطلح البلاغيين هو: أن يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متضادين، لا يتميز أحدهما على الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك⁽¹¹⁹⁾. وقد يعبر عنه ب«عدم التعيين»⁽¹²⁰⁾. ومن الأمثلة على تتوين الإِبْهَام:

• قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5]، فتتوين «هدى» هنا لإفادة ضربٍ مبهمٍ من الهدى؛ تفخيماً له، كأنه قيل: على أي هدى، هدى لا يُبْلَغ كُنْهَهُ ولا يُقَادَرُ قدره⁽¹²¹⁾.

• قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران: 171]، في تتوين «نعمة» و«فضل» دلالةً على بعضٍ غير معيَّن، وإشارةً إلى إِبْهَام المراد؛ تعظيماً لأمره، وتنبهياً على صعوبة إدراكه⁽¹²²⁾.

• قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: 9]، فتتوين «أرضاً» للتَّنْكِير والإِبْهَام، ولذلك نصبت كالظروف المبهمة؛ أي: أرضاً منكورةً بعيدةً من العمران⁽¹²³⁾. مع ملاحظة أن التَّنْوِين في الآية الكريمة يصلح أيضاً لإرادة نوعٍ من الأرض غير معيَّنة بذاتها، لكنَّها نوعٌ ذات وصفٍ خاص؛ فهي أرضٌ بعيدةٌ نائيةٌ مجهولةٌ مَنْ طَرِحَ فيها ضلُّ وتعرضٌ للهلاك⁽¹²⁴⁾، وبهذا يكون التَّنْوِين أيضاً صالحاً للنُّوعِيَّة، فيحمل على المعنيين معاً.

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾ [يس: 55]، فتتوين «شُغْلٍ» وإبهامه تعظيمٌ لما يجده أهل الجنة من البهجة والتلذذ، وتنبيةً على أنه أعلى من أن تُحِيطَ به الأفهام، ويُعْرَب عن كنهه الكلام⁽¹²⁵⁾.

• قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: 15]، فتتوين «روضة» هنا لإِبْهَام أمرها وتفخييمه⁽¹²⁶⁾.

• قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: 3]، فتتوين الكلمتين ها هنا للإِبْهَام في الوصف؛ كأنه قيل: وشاهدٍ ومشهودٍ

لا يُكْتَنَهُ وَصْفُهُمَا (127).

ومن الواضح في هذه الأمثلة -كغيرها- الترابط القوي بين الإبهام والتفخيم، وهذا الترابط طبيعي؛ فإن الإبهام هو أحد الأمور التي تُفِيدُ التَّفْخِيمَ.

المبحث التاسع : التَّهْوِيلُ

وبقابل التَّهْوِيلِ التَّهْوِينُ، وقد ذَكَرَ المفسِّرون أغراضاً للتَّهْوِيلِ، ولم يذكروا للتَّهْوِينِ أغراضاً. ومن الأمثلة على تونين التَّهْوِيلِ:

• قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: 13]، فتونين «سعيراً» للتَّهْوِيلِ؛ لما فيه من الإشارة إلى أَنَّهَا لما فيها من شِدَّةِ الإيقاد والتلُّهَبِ، لا يمكن معرفتها واكتناه كنهها (128). وكما هو ظاهر فإن التَّهْوِيلِ هنا لا يستفاد من التَّوْنِينِ وحده؛ بل من أصل وضع الكلمة أيضاً. والله تعالى أعلم.

• قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: 49]، فتونين «صيحة» للتَّهْوِيلِ (129)؛ وذلك لما يصاحبها من أهوالٍ عظامٍ، وخطوبٍ جسامٍ.

• قوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، فتونين «قلوب» يحتمل أن يكون لتَهْوِيلِ حَالِهَا، وتَفْطِيعِ شَأْنِهَا، بإبهام أمرها في القساوة والجهالة، كأنه قيل: على قلوبٍ منكِّرةٍ لا يُعْرَفُ حَالُهَا، ولا يُقَادَرُ قَدْرُهَا في القساوة (130). وقد تقدم في هذه الآية وجهٌ آخر؛ وهو أن التَّوْنِينِ لِلتَّعْبِيسِ، ولا منافاة بينهما؛ فالتَّهْوِيلِ المذكور لا يتعلق بالقلوب جميعها؛ بل ببعضها، وهي القلوب الموصوفة بما ذكر.

• قوله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: 18]، تونين «لغد» -كما قال الزمخشري- لتعظيمه وإبهام أمره، كأنه قيل: لغدٍ لا يُعْرَفُ كُنْهَهُ لِغَدٍ (131). وقال النيسابوري: إنه للتَّعْظِيمِ والتَّهْوِيلِ (132). وقال البقاعي: إنه للإبهام والتَّهْوِيلِ والتَّعْظِيمِ (133). ولعلَّ الأقرب إلى الصواب ما قاله البقاعي؛ إذ لا كبير فائدة في إبهامه فَحَسَبُ؛ بل مَصَبُّ الفائدة أن يكون هذا الإبهام ممهداً لما بعده من تهويله المستلزم لتعظيمه.

• قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42]، فتونين «ساق» يحتمل أن يكون للتَّهْوِيلِ (134)، ففي ذلك إشارة إلى شِدَّةِ الأمر، وَصُعُوبَةِ الخُطْبِ يوم القيامة (135). ويحتمل أيضاً أن يكون للتَّعْظِيمِ (136). ولا مانع من الحمل عليهما معاً؛

فَعِظَمُ ذلك الموقف مستفادٌ من الهول الذي فيه.

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: 2]، فتونين «خُسْرٍ» يجوز أن يكون للتَّعْظِيمِ في مقام التَّهْوِيلِ، والمعنى: إنَّ الإنسانَ لفي خُسْرانٍ عظيمٍ هائلٍ، لا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إلا اللهُ (137).

المبحث العاشر : المُبَالِغَةُ

وهو غرضٌ قليل الاستعمال في التَّفاسِيرِ، ومن الأمثلة التي ذكروها عليه:

• قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5]، ذكر النيسابوري أن تنكير «هدى» هو لإفادة ضربٍ من المُبَالِغَةِ؛ أي: على هُدًى لا يبلغ كنهها (138). وعبارته منقولة عن (الكشاف) بحروفها (139)، غير أنه وضع (المُبَالِغَةَ) موضع (الإبهام) الذي ذكره الزمخشري.

• قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ [آل عمران: 135] قيل إن تونين «فاحشة» للمُبَالِغَةِ، والمعنى: فعلوا فعلةً بالغةً في القبح (140). والذي يظهر أنَّ المُبَالِغَةَ ليست مستفادَةً من التَّوْنِينِ وحده؛ بل الأظهر أن أصل وضع الكلمة هو الذي أفاد ذلك؛ إذ أصل معنى الفُحْشِ: الزيادة والتعدي، والفاحشة ما يشتد قبحه من الذنوب (141).

• قوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَبْدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: 61]، قيل: إن تنكير «صراط» وتونينه هنا للمُبَالِغَةِ والتَّعْظِيمِ؛ أي: هذا صراطٌ بليغٌ في استقامته، جامعٌ لكل ما يجب أن يكون عليه (142).

• قوله تعالى: ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: 44]، ذكر الشَّهَابَانُ: الخفاجي والألوسي أن تونين «مرد» و«سبيل» للمُبَالِغَةِ (143). ولم يوضحا كيفية كون التَّوْنِينِ للمُبَالِغَةِ، والذي يظهر هنا أن التَّوْنِينِ للإبهام، والمعنى: هل إلى مردٍّ أيًّا كان، من سبيلٍ كيفما كان.

والذي يَتَلَخَّصُ بعد استعراض هذه الأمثلة على هذا النوع أنه ليس نوعاً مستقلاً؛ بل الأقرب إلى الصواب أنه مندرجٌ تحت غيره من الأنواع المذكورة؛ كالإبهام والتَّعْظِيمِ. والله تعالى أعلم.

المبحث الحادي عشر : التَّنْكِيرُ

والتَّنْكِيرُ هنا بمعنى الإطلاق وعدم الحصر؛ وذلك بإبقاء النكرة على تنكيرها؛ إذ التعريف فيه تقييدٌ وحصرٌ (144). وبهذا يستقيم أن يكون التَّنْكِيرُ أحدَ أغراض التَّوْنِينِ. وهذا النوع من

[161]، فتتوين «نبي» هنا للتعميم؛ لأنه نكرة في مقام النفي، فليس من شأن نبي -أيًا كان هذا النبي- أن يخون (152).

• قوله تعالى: «وَيَقُولُونَ طَاعَةً» [النساء: 81]، فتتوين «طاعة» يمكن أن يُحمل على التعميم، وإن لم تكن النكرة هنا في سياق النفي؛ ففرينة المقام كفيلاً بذلك، فيكون المعنى: كل طاعة منا هي لك (153).

• قوله تعالى: «فَلَا يَسْتَنْطِيعُونَ تَوْصِيَةً» [يس: 50]، فتتوين «توصية» للتعميم؛ أي: لا يقدر على توصية ما، ولو كانت بكلمة يسيرة، أو بإشارة (154).

• قوله تعالى: «وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» [الفتح: 22]، فتتوين «وليًا» وكذا «نصيرًا» هنا للتعميم؛ أي: لا يجدون فرداً ما من الأولياء، ولا فرداً ما من الناصرين ينصرهم (155). والنكرة هنا أفادت العموم لأنها في سياق النفي.

• قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» [الحجرات: 6]، فتتوين «فاسق» و«نبا» للتعميم؛ لأن كلاً منهما نكرة في سياق الشرط، وهي كالنكرة في سياق النفي تفيد العموم (156)، فيكون المعنى: إن جاءكم فاسق -أيًا كان هذا الفاسق- بنبا ما فتبينوا.

المبحث الثالث عشر: الشُّبُوح

الشُّبُوح معناه العموم، والمقصود به هنا أن تبقى النكرة على عمومها، وأن لا تخصص ببعض أفرادها. وهذا الغرض أورده بعض المفسرين على قلة، ومن الأمثلة عليه:

• قوله تعالى: «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا» [الفرقان: 27]، فتتوين «سبيلاً» يحتمل أن يكون للشُّبُوح، والتقدير: سبيلاً إلى النجاة، أي سبيل كان (157).

• قوله تعالى: «فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» [القصص: 24]، فتتوين كلمة «خير» هنا للشُّبُوح، والمعنى: من أي خير كان، جَلَّ أو قَلَّ (158).

• قوله تعالى: «مَّا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا» [فاطر: 2]، قال الزمخشري: وتكثيره الرحمة للإشاعة والإبهام، كأنه قال: من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية (159). وتَعَقُّبُهُ أبو حيان بقوله: "والعموم مفهوم من اسم

التتوين لم يرد كثيراً عند المفسرين، ومن الأمثلة عليه:

• قوله تعالى: «فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ» [البقرة: 23]، فالتتوين في «سورة» للتكثير؛ والمعنى: اتتوا بسورة ما، دون تحديد وصف معين لها، فيصدق بأية سورة، قصيرة كانت أم طويلة (145). وذهب ابن عاشور إلى أن تتوين «سورة» للإفزاز أو التوعبة؛ أي: بسورة واحدة من نوع السور (146). والأول أبلغ منه وأحسن؛ لأن أفرادها مفهوم من نفس اللفظ، وكونها من جنس السور تحصيل حاصل.

• قوله تعالى: «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ» [الإسراء: 23]، فتتوين «أف» على قراءة من قرأ به للتكثير، والمعنى: أتضجر تضجراً ما. وإذا لم ينون فهو تضجراً مخصوص (147).

• قوله تعالى: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [النحل: 40]، فتتوين «لشيء» للتكثير؛ أي: لشيء أي شيء كان، مما عزَّ أو هان (148).

• قوله تعالى: «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [الجاثية: 14]، اختلف المفسرون في المراد ب«قوماً» في الآية؛ فقليل الذين آمنوا، وقيل: الكفار، وقيل: هي عامة غير محددة، فتشمل الفريقين (149). ولكل قول منها أدلته. والذي يتصل بموضوع هذا البحث هو القول الثالث؛ حيث إن التتوين عليه يكون للتكثير؛ والمعنى: ليجزي الله كل قوم بما كانوا يكسبون من خير أو شر بما يناسب كسبهم، فيكون وعيداً للمشركين المعتدين على المؤمنين، ووعداً للمؤمنين بالمؤمنين بالصفح والتجاوز عن أذى المشركين (150).

وبعد استعراض هذه الأمثلة فإن من الظاهر أن (التكثير) غير بعيد عن (الإبهام). والذي يظهر للباحث أن الفارق بينهما هو أن (الإبهام) غالباً ما يصاحبه تهويل أو تفخيم لشأن الأمر المذكور. في حين أن التكثير لا يصاحبه ذلك؛ بل هو إبقاء للنكرة على تكثيرها. والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني عشر: التَّعْمِيمُ

من القواعد المقررة في الأصول وفي النحو والبلاغة أن النكرة تعم إذا كانت في سياق النفي أو الشرط، وقد تفيد النكرة العموم في سياق الإثبات أيضاً بمعونة المقام (151). ومن الأمثلة على تتوين التعميم:

• قول الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ» [آل عمران:

من نوعٍ إلى آخر، وهذا أظهر في الدلالة على القدرة الباهرة.

- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ [القصص: 20]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس: 20]، ذكر البلاغيون أن تونين «رجل» لـإفراد؛ أي: فردٌ من أشخاص الرجال⁽¹⁶⁷⁾. والمتأمل في الآيتين الكرّيمتين يجد أنّ الإفراد تحصيلٌ حاصلٌ، والفائدة المعنوية عليه غيرٌ بليغة، فالذي يلائم فصاحة الكتاب الكريم أن يكون التّونين هنا للتّفخيم والتّعظيم كما ذكره أهل التّفسير⁽¹⁶⁸⁾، والمعنى: رَجُلٌ أَيُّ رَجُلٍ عند الله تعالى، رَجُلٌ كاملٌ في الرجوليّة.

المبحث الخامس عشر: الوَحْدَة

والمراد بالوَحْدَة أن تتصرف الكلمة المُتَوَنِّة إلى فردٍ واحدٍ من جنسها، لا إلى الجنس كلّهُ، كما قد يتوهم؛ لكون النكرة قد تفيد الجنس. فالظاهر أنّ «الوَحْدَة» و«التّكثير» شيءٌ واحدٌ، والاختلاف بينهما اختلافٌ في التسمية لا غير، ومن الأمثلة على هذا النوع:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: 164]، قيل: إن تونين «ماء» لِلوَحْدَة، والمعنى: من ماءٍ هو سببُ حياةِ الأرض، لا المطرُ الذي قَدْ لا يُنْبِتُ شيئاً⁽¹⁶⁹⁾. والملاحظ هنا أن لا فائدة كبيرة تُجنى من كون التّونين لِلوَحْدَة. والأبلغ من هذا أن يكون التّونين لِلتّفخيم؛ أي: من ماءٍ أَيُّ ماءٍ. أو أن يكون لِلنّوعيّة؛ أي: من نوعٍ من أنواع الماء؛ وهو الماء النازل من السماء لا غيره. والله تعالى أعلم.

- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد: 7]، جُوزَ أن يكون تونين «آية» لِلوَحْدَة⁽¹⁷⁰⁾، ويكون المعنى عليه: أن الكفار يطلبون أن تُنزلَ على النبي صلى الله عليه وسلم ولو آيةٌ واحدةٌ مما كان ينزلُ على الأنبياء قبله. وهذا القول يباهه تعنت الكفار الذين كانوا الآيات تلو الآيات، كما أخبر بذلك ربُّ العرّة في قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: 90 - 93]، فالقومُ لم يكونوا يطلبون آيةً واحدةً كما دُكِرَ.

- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 27]، جُوزَ أن يكون تونين «سبيلاً» لِلوَحْدَة؛ والمعنى: طريقاً واحداً؛ وهو طريق

الشرط، و«من رحمة»، لبيان ذلك العام من أيّ صنف هو، وهو مما اجتزئ فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط، وتقديره: من الرحمات⁽¹⁶⁰⁾. وكلام أبي حيان رحمه الله في غاية التحقيق والتدقيق؛ فالشياح والعموم ليسا مستفادين من التّونين وحده.

والذي يُخلص إليه بعد سرد هذه الأمثلة على (الشّيوخ) أنه هو عين (التّعظيم) المتقدم آنفاً، والاختلاف بينهما هو اختلاف في التسمية فحسب، والله تعالى أعلم.

المبحث الرابع عشر: الإفراد

ومعناه: القصد إلى فردٍ مما يقع عليه اسم الجنس⁽¹⁶¹⁾. وهو غرض ذكره بعض المفسرين على قلّة، وقد ذكره البلاغيون في كتبهم. ومن الأمثلة عليه:

- قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5]، أورد الشّهّابان: الخفاجي والألوسي احتمالاً -مع تضعيفه- بأن يكون تونين «هدى» لـإفراد؛ أي: هدىً واحداً؛ إذ لا هدى إلا هدى ما أنزل إليه صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لنسخه ما قبله⁽¹⁶²⁾. وغير خافٍ ركاكة الوجه المذكور وضعف المعنى عليه. والذي يتناسب مع جزالة النظم الكريم أن يكون التّونين - كما تقدم في ثنايا البحث - للإبهام الدال على التّفخيم والتّعظيم.
- قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: 23]، فيه احتمالٌ بأن يكون تونين «سورة» لـإفراد؛ أي: أنزلنا بسورةٍ واحدةٍ كائنةً من مثله⁽¹⁶³⁾. وعند تدقيق النظر في هذا الوجه يظهر أن المعنى المذكور غيرٌ جزلٍ؛ إذ الإفراد مفهومٌ من نفس اللفظ، وهو المتبادر منه. فالوجه أن يُحمل التّونين هنا على الإبهام كما تقدم.

- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحج: 34]، فتونين «منسكاً» لـإفراد؛ أي: منسكاً واحداً لا متعدداً⁽¹⁶⁴⁾.

- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [النور: 45]، ذكر البلاغيون أن تونين «دابة» وتونين «ماء» لـإفراد؛ وذلك إذا كان المقصود بالماء النطفة، أي: والله خلق كل فردٍ من أفراد الدواب من فردٍ خاصٍّ من أفراد المياه؛ وهو الماء الخاصُّ بأبيه⁽¹⁶⁵⁾. والمدقق في هذا المعنى لا يجده جزلاً بليغاً؛ إذ الفائدة المترتبة عليه غير كبيرة، والوجه أن يحمل التّونين على النّوعيّة؛ أي: والله خلق كل دابةٍ من نوعٍ من الماء مختصاً بتلك الدابة⁽¹⁶⁶⁾. فيكون فيه دلالةٌ على اختلاف النطفة

1. بلغت عدة الأغراض البلاغية التي ذكرها المفسرون في تفاسيرهم ستة عشر غرضاً، وبعض هذه الأغراض يمكن إدراجها تحت أنواع أخرى، ولا داعي لجعلها أنواعاً مستقلة.
2. ذكر البلاغيون -القدامى منهم والمحدثون- أغراضاً لـ«التكبير»، ولم يذكروا أغراضاً لـ«التنوين». وأما المفسرون فقد تضمنت تفاسيرهم التعبير بالأمرين معاً.
3. أسس الأغراض البلاغية للتنوين جاءت عند الزمخشري، لكن بلفظ «التكبير»، وأقدم نص صريح على وجود أغراض بلاغية للتنوين بلفظ «التنوين» جاء عند البيضاوي.
4. أبرز المفسرين الذين وظفوا الأغراض البلاغية للتنوين في تفسير القرآن الكريم هم: أبو السعود العمادي، والشهابان: الخفاجي والألوسي.
5. جُلُّ الأغراض البلاغية لا يدلُّ عليها التنوين بنفسه؛ بل لا بدَّ من قرينة مقالية أو غيرها تساندُ التنوين في دلالاته على أغراضه.
6. يوجد تفاوتٌ بين أغراض التنوين من حيث كثرة الورد أو قلته في كتب التفسير، وأكثرها وروداً التَّعْطِيم، وأقلها وروداً المزوجة.
7. الأغراض البلاغية للتنوين كلها مندرجة تحت علم «المعاني»، ما عدا «المزوجة»؛ فإنها مندرجة تحت علم «البديع».
8. قد يكون للتنوين في الموضع الواحد غرضان بلاغيان أو أكثر، ما لم يكن هنالك تناقض بين الأغراض؛ كالتعظيم والتحقيق مثلاً.
9. يوجد تفاوتٌ بين أغراض التنوين من حيث وضوح المعنى وخفاؤه.

التوصيات :

1. تكليف بعض طلبة الدراسات العليا بعمل دراساتٍ حول التنوين في القرآن الكريم، واستخراج دلالاته البلاغية في جميع المواضع التي ورد فيها، موضعاً موضعاً.
2. أن يقوم الأساتذة الكبار في الجامعات بعمل دراساتٍ متخصصة في ضبط جميع الأدوات اللازمة للمفسر.

الحق⁽¹⁷¹⁾. ولا شك أن اعتبار التنوين للتعميم والشُّبوح أكثر فائدةً، وأجزل معنىً، وأنسب للسياق؛ فالكافر الذي يعرض يديه ندماً على عدم اتباعه للرسول صلى الله عليه وسلم، وينادي كلَّ ما يمكن أن يُنادى، يتمنى لو أنه اتخذ مع الرسول سبيلاً أيَّ سبيلٍ كان، وكونُ هذا السبيلِ سبيلَ الحقِّ مفهومٌ ضمناً؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يهدي إلا إلى الحقِّ.

المبحث السادس عشر : المَرْوَجَة

المَرْوَجَة والازدواج معناهما: أن يشبه الكلام بعضه بعضاً في السجع أو الوزن⁽¹⁷²⁾. وهذا الغرض من أغراض التنوين يقع تحت علم (البديع)، وجميع الأغراض المتقدمة تقع تحت علم (المعاني). ومن ثمَّ فإنَّ هذا النوع يأتي في التنوين دون التَّنْكِير.

ولم يورد هذا النوع أحدٌ من المفسرين خلا ابن عاشور؛ فإنه أورده في المواضع الآتية:

- قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ [الفرقان: 38] على قراءة من نَوَّن «ثموداً»⁽¹⁷³⁾، وهذه القراءة لها توجيهان: الأول: أن يكون «ثمود» اسماً لحى أو رئيس⁽¹⁷⁴⁾. والثاني: أن تنوينه للمَرْوَجَة مع ﴿عَادًا﴾. واستظهر ابن عاشور الوجه الثاني⁽¹⁷⁵⁾.

• قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: 4] على قراءة من نَوَّن «سلاسلاً»⁽¹⁷⁶⁾، وهنا جزم ابن عاشور بأن تنوينه لمراعاة مزوجته مع الاسميين اللذين بعده وهما «أغلالاً» و«سعيراً»، والمَرْوَجَة طريقة في فصيح الكلام⁽¹⁷⁷⁾.

- قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: 18]. والراجح أن «سَلْسَبِيلًا» اسم عربي، فلا إشكال في تنوينه. ونقل ابن عاشور عن الجواليقي أنه أعجمي⁽¹⁷⁸⁾، ووجهه ابن عاشور بأن تنوينه للمَرْوَجَة⁽¹⁷⁹⁾.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وفي نهاية هذا البحث هذا تسجيلٌ لأهمَّ النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال البحث:

الهوامش

- ط3، 36/2، 128.
19. الخفاجي، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي. 60/8.
20. الشوكاني، فتح القدير. ط1، 370/1.
21. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ط1، 95/2.
22. الألوسي، 414/7.
23. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط3، 270/3.
24. الألوسي، 138/9.
25. ينظر على سبيل المثال: الزمخشري، 53/1، 473. 126/2. 568/4.
26. قرأ نافع وحفص وأبو جعفر بتشديد الفاء مع كسرهما منونةً، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ الباقر من العشرة بكسرهما بلا تنوين. [ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر. (د.ط)، 306/2. الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. ط3، ص: 357].
27. البيضاوي، 252/3.
28. النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل. ط1، 252/2.
29. الخفاجي، 23/6.
30. النيسابوري، 14/3.
31. النيسابوري، 347/4، 258/6.
32. النيسابوري، 406/4، 542/5.
33. ينظر على سبيل المثال: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (د.ط)، 71/2، 107/5، 168/7، 458/19، 446/17، 185/15، 546/8.
34. ينظر: الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. (د.ط)، 595/2، 78/3.
35. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (د.ط)، 53/1، 105/1، 209/1، 16/2، 38/2، 104/2، 153/2، 181/2، 43/3، 142/3، 87/4، 221/4، 259/5، 230/6، 69/8، 165/8.
36. ينظر على سبيل المثال: الخفاجي، 394/1، 89/2، 200/3، 89/4، 222/5، 268/6، 103/8.
37. ينظر على سبيل المثال: البروسوي، روح البيان. 144/1، 266/2، 345/4، 319/5، 414/7، 195/9، 43/10.
38. ينظر: ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: أحمد رسلان، ط2، 323/3، 328/3، 78/4، 303/5.
39. ينظر على سبيل المثال: المظهري، م. (1992) التفسير المظهري. تحقيق: غلام نبي التونسي. ط1، 51/1، 354/5، 116/7، 141/7، 277/8، 249/10.
40. ينظر: الشوكاني، 451/1، 458/1، 323/3، 149/4،
3. أخرجه البخاري، صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، الحديث رقم (5027).
4. الأشموني، ع. شرح ألفية ابن مالك، ط1، 27/1.
5. ينظر: العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ط1، 74/1. ابن الصائغ، اللحة في شرح الملح، ط1، 155/1. المرادي، ح. الجنى الداني في حروف المعاني. ط1، ص: 144. ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. 37/1. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. ط6، ص: 444. الغلاييني، م. جامع الدروس العربية. ط28، 10/1.
6. ابن السراج، الأصول في النحو. 46/1.
7. ابن هشام، ع. (1985) ص: 445.
8. ينظر: المارغاني، دليل الحيران على مورد الظمان. (د.ط)، ص: 270. المرصفي، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري. ط2، 158/1.
9. ينظر: المرصفي، 158/1.
10. ينظر: ابن هشام، 38-39. المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. ط1، 276/1. ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ط20، 17/1. الأزهرى، خ. شرح التصريح على التوضيح. ط1، 24/1. الدرويش، إعراب القرآن وبيانه. ط4، 229/3.
11. ينظر: المرادي، 277/1. الدرويش، م. (1995) 230/3.
12. التنوخي، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. ط2، ص: 167.
13. ينظر: السيرافي، أخبار النحويين البصريين. ص: 16. القطني، ع. (1982) إنباه الرواة على أنباه النحاة. ط1، 344/3. الإشبيلي، طبقات النحويين واللغويين. ط2، ص: 27.
14. المرادي، ص: 144-145.
15. ينظر: سيبويه، الكتاب. ط3، 22/1، 308/3، 233/3، 207/4.
16. ابن الحاجب، الكافية في علم النحو. ط1، ص: 56.
17. ينظر على سبيل المثال: ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. (د.ط)، ص: 217. ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد. ط1، الجيزة 11/1. ابن مالك، شرح الكافية الشافية. ط1، 161/1. ابن الصائغ، اللحة 155/1. المرادي، ص: 145. المرادي، 275/1. ابن هشام، ص: 445. ابن عقيل، 17/1. الأشموني، 32/1. الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. ط1، 54/1.
18. ينظر على سبيل المثال: السكاكي، مفتاح العلوم. ط2، ص: 193، 212. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة.

- 115/5 .11/2. ابن منظور، لسان العرب. ط3، 449/12.
41. ينظر على سبيل المثال: الألويسي، 139/1، 88/2، 216/3، 96/4، 140/5، 190/6، 382/7، 392/8، 369/9، 165/10، 28/11، 197/12، 164/13، 103/14، 193/15.
42. ينظر على سبيل المثال: القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، 201/2، 294/3، 16/8، 19/10، 192/12، 222/13.
43. ينظر على سبيل المثال: القاسمي، محاسن التأويل. 259/1، 467/2، 445/3، 162/6، 541/7، 191/8.
44. ينظر على سبيل المثال: ابن عاشور، التحرير والتوير. 279/1، 209/3، 106/5، 27/8، 263/9، 213/12، 220/16، 55/19، 44/23، 126/26، 380/29.
45. قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، بالتونين، وقرأ الباقر من العشرة بدون تنوين. [ينظر: ابن الجزري، 340/2. الدمياطي، أ. (2006) ص: 432].
46. الخفاجي، أ. (د.ت) 62/7.
47. الألويسي، 272/12.
48. الألويسي، 103/14.
49. ابن عاشور، 347/25.
50. ابن عاشور، 245/1.
51. الميداني، البلاغة العربية. ط1، 400/1.
52. النيسابوري، غرائب القرآن وרגائب الفرقان. ط1، 64/2.
53. النيسابوري، 454/6.
54. البقاعي، 2/8.
55. الشوكاني، 149/4.
56. الخفاجي، 393/1.
57. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1، 10/2.
58. الشريبي، 205/1.
59. أبو السعود، 20/2.
60. الخفاجي، 251/3.
61. النيسابوري، 569/1.
62. الألويسي، 95/2.
63. ابن عاشور، 82/30.
64. الألويسي، 305/7.
65. تراجع ص: 9 من هذا البحث.
66. النيسابوري، 323/5.
67. الألويسي، 205/13.
68. النيسابوري، 528/2. الشوكاني، 618/1.
69. ينظر: المرادي، ص: 250. ابن هشام، ص: 223.
70. البقاعي، 435/7. رضا، تفسير القرآن الحكيم. 442/8.
71. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4، 2000/5. الزمخشري، أساس البلاغة. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1،
72. أبو السعود، 105/2.
73. الشوكاني، 451/1.
74. أبو السعود، 114/2.
75. الألويسي، 344/5.
76. الألويسي، 15/9.
77. الألويسي، 94/15.
78. أبو السعود، 167/1.
79. أبو السعود، 5/2. الألويسي، 76/2.
80. الألويسي، م98/6.
81. الزمخشري، م53/1. الخفاجي، 298/1. المراغي، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع». (د.ط)، ص: 127.
82. أبو السعود، 114/3. الألويسي، 129/4.
83. الألويسي، 143/4.
84. ابن عاشور، 64/9.
85. الألويسي، 286/8.
86. الرزاي، مفاتيح الغيب. ط3، 204/28.
87. الألويسي، 103/14.
88. الشوكاني، 97/1.
89. الشوكاني، 135/1. الألويسي، 329/1.
90. النيسابوري، ح14/3. أبو السعود، 78/3. الشوكاني، 88/2. الألويسي، 21/4.
91. ابن عاشور، 39/7.
92. أبو السعود، 308/3.
93. ابن عاشور، 109/13.
94. الألويسي، 194/10.
95. أبو حيان، البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. (د.ط)، 459/4. الخفاجي، 259/2.
- الكفوي، الكليات ص: 525. الشوكاني، 152/3. ابن عاشور، 54/2 - 55.
96. الزمخشري، 53/1. الكفوي، الكليات ص: 308. المراغي، ص: 127.
97. أبو السعود، 298/3. الألويسي، 119/5.
98. الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: أحمد محمد الخراط. 50/2. البقاعي، 546/8. الشوكاني، 435/2. روح المعاني، للألويسي 137/10.
99. القاسمي، 293/2. رضا، 471/10.
100. ابن عاشور، 264/10.
101. الألويسي، 147/6.
102. أبو زهرة، زهرة النّاسير 3612/7.
103. الخفاجي، 226/6. الألويسي، 570/8.
104. الزمخشري، 94/1.
105. الزمخشري، 646/2. الرزاي، 292/20. البيضاوي، 247/3.
106. الخفاجي، 4/6.

107. الألوسي، 6/8.
 108. البيضاوي، 233/3. الخفاجي، 349/5. الألوسي، 423/7.
 109. الرّازي، 56/28. الشريبي، 31/4.
 110. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف «أنصار» غير منون مضافاً إلى اسم الجلالة بلا لام جرّ، وقرأ الباقر «أنصاراً» منوناً «الله» بلام الجر. [ينظر: ابن الجزري، 387/2. الدميّطي، ص: 541].
 111. الخفاجي، 194/8. الألوسي، 285/14.
 112. الزمخشري، 53/1. الرّازي، 296/2. النسفي، 46/1. النيسابوري، ح 157/1.
 113. المراجع نفسها.
 114. السكاكي، ص: 193. وينظر: الخفاجي، 298/1. المراغي، ص: 127.
 115. الزمخشري، 223/1. أبو حيان، 154/2. الخفاجي، 273/2. الدرويش، 255/1.
 116. الزمخشري، 222/1. النسفي، 156/1. أبو حيان، 154/2. ابن عاشور، 144/2.
 117. الزمخشري، 620/4. البيضاوي، 250/5. أبو السّعود، 41/9.
 118. المرجعان السابقان.
 119. الزمخشري، 410/4. البيضاوي، 153/5. أبو السّعود، 148/8. الخفاجي، 103/8. الألوسي، 31/14.
 120. ابن منظور، 57/12. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط8، ص: 1081.
 121. العدوانى، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. ص: 596.
 122. المراغي، ص: 128.
 123. الزمخشري، 45/1. الرّازي، 279/2. النسفي، 43/1. أبو السّعود، 33/1.
 124. أبو حيان، 434/3.
 125. الزمخشري، 447/2. البيضاوي، 156/3. النسفي، 97/2.
 126. الميداني، 402/1.
 127. الزمخشري، 21/4. البيضاوي، 271/4. أبو السّعود، 173/7.
 128. الزمخشري، 471/3. النسفي، 693/2. أبو حيان، 380/8.
 129. الرّازي، 107/31. البيضاوي، 300/5.
 130. البيضاوي، 128/5. البقاعي، 304/18 - 305. أبو السّعود، 108/8. الألوسي، 254/13.
 131. النيسابوري، 539/5.
 132. أبو السّعود، 99/8.
 133. الزمخشري، 508/4.
 134. النيسابوري، 287/6.
 135. البقاعي، 458/19.
 136. البيضاوي، 237/5. أبو السّعود، 18/9. الألوسي، 40/15.
 137. الألوسي، 39/15.
 138. البيضاوي، 237/5. أبو السّعود، 18/9. الألوسي، 40/15.
 139. الرّازي، 279/32. ابن عاشور، 532/30.
 140. النيسابوري، 148/1.
 141. الزمخشري، 45/1.
 142. الخفاجي، 63/3.
 143. ابن منظور، 325/6. الفيروزآبادي، ص: 600. الزبيدي، تاج العروس 297/17.
 144. البيضاوي، 271/4. الخفاجي، 249/7. الألوسي، 40/12.
 145. الخفاجي، 426/7. الألوسي، 50/13.
 146. الحلبي، 340/8. الميداني، 408/1.
 147. الألوسي، 196/1. رضا، 302/11.
 148. ابن عاشور، 337/1.
 149. تراجع ص: 8 من هذا البحث.
 150. الألوسي، 382/7.
 151. البيضاوي، 106/5. الشريبي، 596/3. الألوسي، 145/13.
 152. ابن عاشور، 342/25.
 153. ينظر: الغزالي، المستصفى. ط1، ص: 243. الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه. ط1، 156/4. ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري. ط1، 225/1. السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: عبد الحميد هندأوي. (463/2). القزويني، 76/2.
 154. أبو زهرة، زهرة التفاسير. (د.ط)، 1483/3.
 155. البقاعي، 338/5.
 156. الرّازي، 290/26.
 157. الألوسي، 264/13.
 158. البيضاوي، 134/5. الألوسي، 297/13.
 159. البيضاوي، 123/4. الخفاجي، 420/6.
 160. الخفاجي، 70/7. الألوسي، 273/10.
 161. الزمخشري، 596/3.
 162. أبو حيان، 12/9.
 163. القزويني، 35/2.
 164. الخفاجي، 249/1. الألوسي، 127/1.
 165. ابن عاشور، 337/1.
 166. ابن عاشور، 259/17.
 167. السكاكي، ص: 191. المراغي، ص: 128. عوني، المنهاج الواضح 129/4.
 168. النيسابوري، 202/5.
 169. القزويني، 35/2. العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم

188. الفارسي، الحجة للقراء السبعة. ط2، 354/4.
 177. ابن عاشور، 27/19.
 178. قرأ نافع وشعبة، والكسائي، وأبو جعفر، وهشام ورويس
 بخلف عنهما، بالتونين، وقرأ الباقر من العشرة ب دون
 تنوين. [ينظر: ابن الجزري، 394/2. الديمياطي، ص:
 565].
 179. ابن عاشور، 378/29.
 180. الجواليقي، المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف
 المعجم. ط2، ص: 237.
 181. ابن عاشور، 396/29.

- حقائق الإعجاز. ط1، 144/3. المراغي، ص: 126.
 170. الرّازي، 263/26. النيسابوري، 529/5. الألوسي،
 397/11.
 171. النيسابوري، 458/1.
 172. الخفاجي، 222/5. الألوسي، 102/7.
 173. البيضاوي، 123/4.
 174. ابن منظور، 293/2.
 175. قرأ هذا الموضوع بغير تنوين: حفص، وحمزة، ويعقوب،
 وقرأ الباقر من العشرة بالتونين مصروفاً. [ينظر: ابن
 الجزري، 289/2. الديمياطي، ص: 323].
 176. ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع. ط4، ص:

المصادر والمراجع

- الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون. ط1، الجيزة: دار هجر
 للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1410هـ-1990م.
 ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط3، بيروت: دار
 صادر، 1414هـ-1994م.
 ابن هشام، عبد الله بن يوسف. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.
 تحقيق: يوسف البقاعي. (د.ط.): دمشق: دار الفكر للطباعة
 والنشر والتوزيع، (د.ت).
 ابن هشام، عبد الله بن يوسف. مغني اللبيب عن كتب الأعراب.
 تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط6، دمشق: دار
 الفكر، 1405هـ-1985م.
 ابن يعيش، يعيش بن علي. شرح المفصل للزمخشري. تحقيق: إميل
 بديع يعقوب. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ-
 2001م.
 أبو زهرة، محمد أحمد. زهرة التفسير. (د.ط)، بيروت: دار الفكر
 العربي، (د.ت).
 الأزهرى، خالد بن عبد الله. شرح الأزهريّة. (د.ط)، القاهرة: المطبعة
 الكبرى ببولاق، (د.ت).
 الأزهرى، خالد بن عبد الله. شرح التصريح على التوضيح. ط1،
 بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ-2000م.
 الإشبيلي، محمد بن الحسن. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق:
 محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).
 الأشموني، علي بن محمد. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك.
 ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ-1998م.
 الألوسي، محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم
 والسبع المثاني. تحقق: علي عبد الباري عطية. ط1، بيروت:
 دار الكتب العلمية، 1415هـ-1995م.
 الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. البحر المحيط في التفسير.
 تحقيق: صدقي محمد جميل. (د.ط)، بيروت: دار الفكر،
 1420هـ-2000م.
 البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير
 الناصر، ط1، بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ-2002م.
 البروسوي، إسماعيل حقي. روح البيان. (د.ط)، بيروت: دار الفكر،

- ابن الجزري، محمد بن محمد. النشر في القراءات العشر. تحقيق:
 علي محمد الضباع. (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العلمية،
 (د.ت).
 ابن الحاجب، الكافية في علم النحو. جمال الدين بن عثمان. تحقيق:
 صالح عبد العظيم الشاعر. ط1، القاهرة: مكتبة الآداب،
 1430هـ-2010م.
 ابن السراج، محمد بن السري. الأصول في النحو. تحقيق: عبد
 الحسين الفتلي. (د.ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة، (د.ت).
 ابن الصانع، محمد بن حسن الجذامي. اللمحة في شرح الملح.
 تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي. ط1، المدينة المنورة: عمادة
 البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، 1424هـ-2004م.
 ابن خالويه، الحسين بن أحمد. الحجة في القراءات السبع. تحقيق:
 عبد العال سالم مكرم. ط4، بيروت: دار الشروق، 1401هـ-
 1981م.
 ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتتوير. (د.ط)، تونس: دار
 سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1417هـ-1997م.
 ابن عجيبة، أحمد بن محمد. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.
 تحقيق: أحمد رسلان، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية،
 1423هـ-2002م.
 ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. شرح ابن عقيل على ألفية ابن
مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط20، القاهرة:
 دار مصر للطباعة، 1400هـ-1980م.
 ابن مالك، محمد بن عبد الله. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد.
 تحقيق: محمد كامل بركات. (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي
 للطباعة والنشر، 1387هـ-1967م.
 ابن مالك، محمد بن عبد الله. شرح الكافية الشافية. تحقيق: عبد
 المنعم أحمد هريدي. ط1، مكة المكرمة: جامعة أم القرى/ مركز
 البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي/ كلية الشريعة والدراسات
 الإسلامية، (د.ت).
 ابن مالك، محمد بن عبد الله. شرح تسهيل الفوائد. تحقيق: عبد

- (د.ت). البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (د.ط)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، (د.ت).
 البيضاوي عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ-1998م.
 التتوخي، المفضل بن محمد. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. ط2، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1412هـ-1992م.
 الجواليقي، أبو منصور. المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط2، القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1389هـ-1969م.
 الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ-1987م.
 الحلبي، أحمد بن يوسف. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: أحمد محمد الخراط. (د.ط) دمشق: دار القلم، (د.ت).
 الخفاجي، أحمد بن محمد. حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي. (د.ط)، بيروت: دار صادر، (د.ت).
 الدرويش، محيي الدين أحمد مصطفى. إعراب القرآن وبيانه. ط4، دمشق: دار اليمامة، 1415هـ-1995م.
 الدمياطي، أحمد بن محمد. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. تحقيق: أنس مهرة. ط3، بيروت: الكتب العلمية، 1427هـ-2006م.
 الرازي محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ-2000م.
 رضا، محمد رشيد. تفسير القرآن الحكيم. (د.ط)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1410هـ-1990م.
 الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين، (د.ط)، بيروت: دار الهداية، (د.ت).
 الزركشي، محمد بن عبد الله. البحر المحيط في أصول الفقه. ط1، (د.م)، دار الكتب، 1414هـ-1994م.
 الزمخشري، محمود بن عمر. أساس البلاغة. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ-1998م.
 الزمخشري، محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ-1987م.
 السكاكي، يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم. تحقيق: نعيم زرزور. ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ-1987م.
 سيويه، عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1408هـ-1988م.
 السيرافي، الحسن بن عبد الله. أخبار النحويين البصريين. تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي. (د.ط)، القاهرة: (د.ت).
- مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1373هـ-1966م.
 السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: عبد الحميد هندواوي. (د.ط)، القاهرة: المكتبة التوفيقية، (د.ت).
 الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. (د.ط)، القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية)، 1285هـ-1868م.
 الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. ط1، ابن كثير، دمشق: دار الكلم الطيب. 1414هـ-1994م.
 الصبان، محمد بن علي. حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ-1997م.
 العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن أبي الإصبع. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تحقيق: حفني محمد شرف. (د. ط)، الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي. (د.ت).
 العكبري، عبد الله بن الحسين. اللباب في علل البناء والإعراب. تحقيق: عبد الإله نبهان. ط1، دمشق: دار الفكر، 1416هـ-1995م.
 العلوي، يحيى بن حمزة. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. ط1، بيروت: المكتبة العنصرية، 1423هـ-2003م.
 العمادي، أبو السعود محمد بن محمد. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
 عوني، حامد. المنهاج الواضح للبلاغة. (د.ط)، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، (د.ت).
 الغزالي، محمد بن محمد. المستصفى. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ-1993م.
 الغلابيني، مصطفى محمد سليم. جامع الدروس العربية. ط28، صيدا: المكتبة العصرية، 1414هـ-1993م.
 الفارسي، الحسن بن عبد الغفار. الحجة للقراء السبعة. تحقيق: بدر الدين قهوجي، ويشير جويجاتي. ط2، دمشق: دار المأمون للتراث، 1413هـ-1993م.
 الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ-2005م.
 القاسمي، محمد جمال الدين. محاسن التأويل. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ-1998م.
 القزويني، محمد بن عبد الرحمن. الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط3، بيروت: دار الجيل، (د.ت).
 القفطي، علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1406هـ-1982م.

- القنوجي، محمد صديق خان. فتح البيان في مقاصد القرآن. تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. (د.ط)، صيدا: المكتبة العصرية، دار عام النشر، 1412هـ-1992م.
- الكفوي، أيوب بن موسى. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413هـ-1993م.
- المارغني، إبراهيم بن أحمد. دليل الحيران على مورد الظمان. (د.ط)، القاهرة: دار الحديث، (د.ت).
- المرادي، الحسن بن القاسم. الجنى الدانى في حروف المعانى. تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ-1992م.
- المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان. ط1، بيروت: دار الفكر العربي، 1428هـ-2008م.
- المراغي، أحمد مصطفى. علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع». (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).
- المرصفي، عبد الفتاح السيد عجمي. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري. ط2، المدينة المنورة: مكتبة طيبة، (د.ت).
- المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري. تحقيق: غلام نبي التونسي. ط1، باكستان: مكتبة الرشدية، 1412هـ-1992م.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حَبَنَكَة. البلاغة العربية. ط1، دمشق: دار القلم، 1416هـ-1996م.
- النسفي، عبد الله بن أحمد. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط1، بيروت: دار الكلم الطيب، 1419هـ-1998م.
- النيسابوري، الحسن بن محمد. غرائب القرآن و رغائب الفرقان. تحقيق: زكريا عميرات. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ-1996م.

The Rhetorical Objectives of Al-Tanwin and its Effect In Interpreting the Holy Quran

*Hatem A. J. Al-Tamimi**

ABSTRACT

This study begins with the definition of Al-Tanwin, its types, and the rhetorical objectives contained in the books of interpretation (Al-Tafsir). The study aims to discuss what the explainers (Almofasiroon) mentioned about these objectives whether supporting these objectives or criticizing them. All that is accompanied with a historical presentation on the way the explainers use of the objectives of Al-Tanwin in interpreting the Holy Quran.

This study aims to release the effects of rhetorical objectives of Al-Tanwin in interpreting the Holy Quran. The methodology of the study is authenticity based on two approaches: inductive and descriptive. Most important findings of this study is that: Al-Tanwin has sixteen rhetorical objectives included in the books of interpretation (Al-Tafsir). And that those objectives have a fundamental effect in the interpretation of the Quran.

Keywords: Language, Arabic, Rhetoric, Tanwin, Tankir.

* Al-Quds University, Palestine. Received on 09/06/2015 and Accepted for Publication on 16/08/2015.